

## التأويل في الفلسفة الرومانسية - شلاير ماخر نموذجاً

د.بن علي محمد<sup>(1)</sup>

تمهيد:

يسعى الإنسان إلى فهم ما يحيط به من ظواهر الكون وتفاعلاته، ويريد أن يتعرف على تفاصيل الظواهر ويحاول فهمها، ويرغب في طلب ومعرفة ما خفي واستقصى فهمه من هذه الظواهر فيسعى إلى تأويلها وفهم الغامض منها<sup>(1)</sup>. هكذا فبفعل القراءة تكون عملية الفهم داخل النص، بفعل جهد القارئ ومشاركته وتفاعله وإحساسه، بوجود فسحة تعطيه القدرة على الحركة والتفكير داخل النص، فالنص مهما كانت سلطته التي يمارسها على القارئ، لا يستطيع أن يمارس عليه مراقبة كاملة تحدد مسبقاً كل ما توصل إليه (القارئ)، من معان وانطباعات شخصية بفعل آليات التأويل والتفسير التي تمكنه من اختبار إمكانات النص في الإفصاح عن معانيه.

علماً أن التأويلات تختلف باختلاف المعارف المعتمدة وطبيعة القراءة، وطبيعة النصوص، دون إغفال المدارس التي يؤول ويفسر النص من داخلها. لهذا سوف نعمد في مقالنا هذا إلى الكشف عن طبيعة الإمكانيات التأويلية في الفلسفة الرومانسية، من خلال مؤسسها شلايرماخر الذي قام بتحويل السؤال من ما معنى النص؟ الذي كان مسيطراً على الهيرمنوطيقا الكلاسيكية، إلى ما معنى الفهم؟

مفاهيم الدراسة:

(1) مفهوم التأويل:

(أ) في الأصل العربي:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "أول": الأول: الرجوع، يؤول الشيء أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجعته، وألت عن الشيء:

\* - أستاذ محاضر، المركز الجامعي أحمد زبانة- غليزان.

1 ( محمد ن احمد جهلان، فاعلية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008

ارتدّدت، وأول الكلام وتأوّله: دبّره وقدره، وأوّله وتأوّله فسرّه، وقوله تعالى: "ولمّا يأتيهم تأويله" وفي حديث ابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، قال ابن الأثير: هو من آل الشيء يؤوّل إلى كذا أي رجع وصر إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ<sup>(1)</sup>، سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد، قال أبو منصور: يقال أولت الشيء وأوّلته إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لإشكال فيه، وبذلك يكون معنى التأويل في الأصل العربي رد معانيه إلى أصلها الذي تحمل عليه ويجب أن تنتهي إليه.

وقد نبه ابن تيمية إلى أن لفظ التأويل قد صار بثلاث معاني بسبب تعدد الاصطلاحات<sup>(2)</sup>:

(أ) يراد بالتأويل حقيقة ما يؤل إليه الكلام، وإن وافق ظاهره. قال تعالى: "وهل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الدين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق"<sup>(3)</sup>.

(ب) يراد بلفظ التأويل التفسير وهو اصطلاح كثير من المفسرين، هكذا فإذا كان التحليل العلمي يحاول قدر الإمكان الفصل بين دلالاتي التأويل والتفسير على أساس أن الكشف عن الحقائق ظني في التأويل بينما يعدّ قطعياً في التفسير، فإن الأمر خلاف ذلك في القرآن لتطابق الدالّتين، فنجد كلمة التفسير تؤدّي الغرض نفسه الذي تؤدّيه كلمة التأويل، وذلك لاشتراكهما في تبيان حال ما خفي من باطن النص. بينما يرى التهاتوي أن الفرق بين التفسير والتأويل يكمن في أن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني، للتوفيق بين ظاهر النص وباطنه، أو لصرف النظر عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله<sup>(4)</sup>\*\*\*.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: أول.

(2) نقلا عن: دندوقة فوزية، التأويل وتعدد المعنى، مجلة كلية الآداب العلوم الاجتماعية، ع4، جانفي 2009، جامعة بسكرة.

(3) سورة، الأعراف، الآية 52.

(4) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ب ط)، 1982، ص314.

هكذا فإذا كان مفهوم التأويل في الرافد العربي لا يكاد يخرج عن المعاني التي أشرنا إليها - مع فروق بسيطة إذا تعلق الأمر بالتوظيف الاصطلاحي- فكيف يتحدد مفهوم التأويل في الوافد الغربي؟

#### مفهوم التأويل في الوافد الغربي:

هناك شبه إجماع على أن مصطلح التأويل (الهرمينوطيقا) في الوافد الغربي تعود أصوله إلى جذور إغريقية، فاللفظ عند برنار دوني BERNARD D. مشتق من أصل إغريقي "هرمينيا" HERMRNIA الذي يدل على التأويل، أما عند هوبر وتامين HUBERT et TAMINE فهو فن تأويل العلامات، وهو تأمل فلسفي يعمل على تفكيك كل العوالم الرمزية وبخاصة الأساطير والرموز الدينية والأشكال الفنية، أما جون غرو ندين jean grondin فينطلق من المعنى السابق لمفهوم الهرمينوطيقا -فن التأويل- ليضيف إليه دلالات أخرى، إذ يذهب إلى القول بأن لفظة الهرمينوطيقا مشتقة من الفعل اليوناني، hermineuo، الذي يحمل معنى الترجمة والتفسير والتعبير<sup>(1)</sup>، وهذا الرأي قريب مما ذهب إليه الأسطورة اليونانية من أن هرمس hermeneus كان رسول الآلهة<sup>(2)</sup>... كان عمله أن ينقل إلى الناس في الأرض رسائل وأسرار آلهة أولمبيوس... ويصوغ بكلمات مفهومة ذلك الغموض القابع وراء القدرة على التعبير، مهمة هرمس هي بناء جسر التفاهم بين العالمين وجعل ما يبدو لا عقلي شيء ذي معنى وواضحا للأذن البشرية<sup>(3)</sup>.

في مقاله "الهرمينوطيقا القديمة" حاول جون بيبان j.pepin رصد التحول الدلالي للمصطلح عبر مختلف حقبة العصر الإغريقي الكلاسيكي... غير أن اللافت في عمل pépin هو تحديده للانزياح الحاصل في تحول

---

\*\*للمزيد انظر: الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ط3، 1984، القاهرة، دار التراث، ص147  
(1) عبد الغني بارة، (الهرمينوطيقا والترجمة)، مجلة الآداب العالمية، ع2008، 133، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 83-108  
(2) أفلاطون، محاوره كراتيلوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة عزمي طه السيد احمد، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1995، ص139  
(3) دافيد جاسر، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، ط2007، ص1، 21

المصطلح من اليونانية إلى اللاتينية، إذ أن ترجمته (الهيرمينوطيقا) ب :  
*INTERPRETA* قد اثر سلبا على دلالة الهرمينيا *HERMENEIA*، (التأويل)،  
وجعله يتداخل مع لفظة التفسير، بيد أن المعنى الأصلي للهرمينيا وباقي  
مشتقاته، ليس هو التفسير بوصفه فعل ولوج في قصدية النص، بقدر ما تدل  
في الغالب على فعل يتصف بطابع الانفتاح الخارجي<sup>(1)</sup>.

تاريخيا بدأ استعمال المصطلح في مجال الدراسات اللاهوتية، وهو  
يشير إلى مجموعة الأسس والقواعد التي ينبغي للقارئ المفسر أن يتتبعها  
ليفهم النصوص المقدسة، وبقي الأمر على هذا، وبقي المصطلح يتداول  
داخل دائرة النصوص الدينية، وحكرا على مجال علم اللاهوت، قبل أن  
يدخل دائرة اهتمام الفلاسفة ويطبق على النصوص الأدبية الدنيوية، الأمر  
الذي لم يعد معه المصطلح يشير إلى قضايا علم اللاهوت<sup>(2)</sup>.

أمّا بول ريكور فيتبنى التعريف العلمي الآتي: "الهيرمينوطيقا -  
حسب رأيه- نظرية عمليات الفهم في علاقاتها بتأويل النصوص، ولهذا فإنّ  
الفكرة الأساسية في الهرمينوطيقا، ستكون إدراك الخطاب بوصفه نصا"<sup>(3)</sup>.

ولهذا تبقى **الهيرمينوطيقا** مجال معرفي يحاول فهم حياة البشر  
وأفكارهم وتاريخهم ولغتهم، بعيداً عن مناهج الاستقراء والتجارب  
والملاحظات والفرضيات، التي حققت نجاحاً باهراً في تفسير ظواهر الطبيعة  
والكون. فالمناهج الطبيعية من وجهة نظر الهرمينوطيقا حولت الإنسان إلى  
مجرد ذرة فيزيائية أو عنصر كيميائي أو معادلة اقتصادية، دون إعطاء أي  
دور حميمي لحياته الخاصة وحاجاته المعنوية ودون أي اهتمام بخصوصية  
تراثه ولغته وروحه وأدبه. وعلى الرغم من التاريخ الطويل لفن التأويل  
واستخدامه من قبل غالبية الشعوب لتفسير كتبها المقدسة وتوضيح معانيها  
وإمارة اللثام عما فيها من لبس وغموض، وذلك باستبدال بالكلمة غير  
المفهومة أخرى أكثر منها بساطة، عبر الانتقال بين المعنى الحرفي والمعنى

(1) عبد الغني بارة، المقال نفسه.

(2) محمد بن احمد جهلان، مرجع سابق، ص169

(3) خيرة حمر العين (الشعرية وانفتاح النصوص، تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل)، مجلة الخطاب،  
دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، ع2010، 6، منشورات  
مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، ص 14

المجازي، فإن النشأة الحديثة للهيرمينوطيقا، تعود بشكل أساسي إلى شلايرماخر<sup>(1)</sup> الذي عرفها بأنها "فن تجنب سوء الفهم"، فالأصل في التأويل هو الخشبية من سوء الفهم، الأمر الذي يستدعي وضع مبادئ وقواعد لعملية الفهم تجنبنا سوء الفهم. وأولى هذه القواعد أن النص لا يمكن عده مفهوماً ما دمنا لم نمسك بمعناه العام، ولم ندرك أهميته، ولم نتعرف الوضعية التاريخية والاجتماعية والنفسية للمؤلف، ولم نستشف الوضعية المعاصرة للقارئ والأهداف البعيدة لتأويله هو مفتاح تجنب سوء الفهم<sup>(2)\*</sup>.

### ب) شلايرماخر... وسؤال الفهم:

من الناحية الفلسفية يعتبر شلايرماخر<sup>(3)</sup>، المؤسس الفعلي للفلسفة الرومانسية<sup>(1)</sup>، فهو يمثل بجدارة الموقف الكلاسيكي بالنسبة للهيرمينوطيقا،

---

1) رشيد الحاج صالح، (مكانة التراث وتأويله عند غادامير)، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+2، المجلد 30، ص 582

2) المرجع نفسه، ص 585 \*\* للمزيد أنظر: غادامير، فلسفة التأويل، ترجمة شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2006، ص 61-69

3) فريدرش دانييل شلايرماخر فيلسوف واللاهوتي ألماني (1768-1834) من عائلة بروتستانتية. تعلم بالمدرسة الإكليريكية للأخوة المورافيين في باربي وكان شديد الانزعاج من انضباط هذه المدرسة. ودرس في جامعة هال من سنة 1787 إلى سنة 1789، ولم يخف تبرمه وضيقة من عقلانيته، وهو ما أدخله في متاهة وحيرة انتهتا به إلى انتباز العقائد الدينية كافة واعتبار كل تدخل للعقل في مجال الإيمان نوعاً من الانحراف. ومع ذلك، اجتاز في سنة 1790 ببرلين الامتحان اللاهوتي لختام الدراسة ورسم قساً، ثم عين واعظاً مساعداً (1794) فمرشداً روحياً (1796) في مستشفى المحبة ببرلين. وذاع صيته نتيجة مؤلفه "خطب في الدين" (1799) الذي أثار سجالات واسعة ومؤاخذات جمّة تولّى شلايرماخر الإجابة عليها في كتابه "مناجاة النفس" (1800). قام، بالتعاون مع شليغل، بترجمة آثار أفلاطون، ثم استكملها بمفرده بين سنتي 1804 و 1810 في خمسة مجلدات. وكان لتقديمه لها أثر فلسفي كبير. وكتب في هذه الفترة كتابه "تقد الأخلاق السابقة" (1803). وسُمّي "أستاذاً فوق العادة" للاهوت بجامعة هال وأقبل على دروسه جمع غفير، إلا أن الجامعة اضطرت إلى تعليق دروسه بعد هزيمة إيبنا، فعاد إلى برلين، حيث ساهم في تأسيس الجامعة الجديدة وعمل أوّل مدرّس للاهوت بها سنة 1810. انتخب شلايرماخر سنة 1811 عضواً بأكاديمية العلوم البروسية. ترك عدّة مؤلفات منها:

الإيمان المسيحي طبقاً لمبادئ الكنيسة الإنجيلية - الأخلاق الفلسفية - دروس في علم الجمال. انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006، ص396  
(<sup>1</sup>) مفهوم الرومانسية:

من الناحية الاشتقاقية ترجع كلمة رومانسية ROMANTISME إلى كلمة ROMAN، وهي كلمة فرنسية قديمة، كانت تدل في العصور الوسطى على قصص المخاطرات، شعراً أو نثراً، ثم انتقلت إلى الإنجليزية، وأصبحت صفة تدل على ما ينسب إلى قصص المخاطرات ROMANTIC. انظر: محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ب ت، ب ط، ص3

أما من الناحية الاصطلاحية فقد ميزَ أ.س.دمتريف بين لفظي الرومانتيك التي تعني المعنى العام، الشائع بين الناس وغير العلمي، رغم أنه يعتبر عنصراً جوهرياً من عناصر الرومانسية، بوصفه نمطاً معيناً من أنماط إدراك العالم، ومنهجا إبداعياً، وخلافاً للرومانسية التي هي ظاهرة تاريخية ملموسة تخص الفن والأدب في مرحلة زمنية محددة ومنظورة تماماً، نجد أن الرومانتيك يتمثل لدى الفرد في مزاجه العاطفي الروحي، وفي طموحه إلى مثال ما، يتميز عن الظروف الواقعية المحيطة به، في نزوعه الدائم نحو الجديد، وفي رفضه سكونية الوجود اليومي. انظر: أ.س.دمتريف، النظرية الرومانسية الغربية، مجلة الآداب العالمية، ع2006، 125، اتحاد الكتاب العرب، ص 13  
كما نجد عند بيلنسكي في معالجه لمفهوم الرومانسية هذه التفرقة، التي يجعل من خلالها الرومانتيك يقترن بالمجال الفردي الطامح إلى الأفضل والأسمى. "إن الرومانسية في معناها الأضيق، والأكثر جوهرية، ما هي إلا العالم الداخلي لنفس الإنسان، حياة قلبه الدفينة... وميدانها مجمل حياة الإنسان الروحية الداخلية، تلك التربة السرية للروح والقلب. التربة التي تنبع منها جميع الطموحات الغامضة نحو الأفضل والأسمى، عندما تحاول أن تجد إرضاء لنفسها في المثل التي يبدعها الخيال. الواقع أن الحركة الرومانسية كانت بمثابة ثورة ضد التيارات الكلاسيكية وذوقها المزيّف، فرفضت كل أشكال القوانين التي تقيد حرية الإنسان، مما لا شك فيه أن الأجواء التي عاشتها أوروبا آنذاك لعبت دوراً أساسياً في بلورة الحركة الرومانسية، فنتائج الثورة الفرنسية جعلت الفرد الأوربي يتطلع إلى الحرية وفك القيود، بما فيها قيود الأدب، نتيجة لإحساسه بذاتية المستقلة، المتحررة من قيود التقاليد، فالرومانتيكيون لا يتطلعون إلى الحقيقة التي تواضع عليها المنطق السائد. ومهما تكن الصلة بين أدبهم والحياة الواقعية، فهي صلة الحالم المتحرر من حقائق المجتمع، وما يقده ذلك المجتمع من تقاليد، لأنه يعيش في عالم لا هادي له فيه سوى القلب والعاطفة. انظر: محمد غنيمي هلال، مرجع سابق، ص14

لقد كانت ثقة الرومانسيين بالعقل محدودة - الأمر الذي يفسر وقوفهم ضد التنوير - مادامت تجربة الحياة أعظم من أن تمثلها المقولات العقلية، لذلك كانت تقتهم في منطق الحياة، وليس في منطق العقل، فالإنسان الرومانسي ليس هو ذلك الإنسان الشمولي، بل هو الإنسان الفرد، الذي يجد تجربته في فعله، من هنا نفهم طابع التمرد في الفنون الرومانسية، وذلك الهروب من الواقع الاجتماعي.

إن الرومانسية بشكلها الأساسي، ترى في الحياة مغزى وفائدة، فالحياة أكبر من أن تكون مجرد آلة، فلدَى الإنسان نشاط ذاتي يجعله يؤسس لنماذج متعددة بإمكانيات لانهائية، في الفعل والحرية، هنا يحدث ذلك الانفصال وتتضح الرؤية. لقد تجاوز الرومانسيون الفهم الكلاسيكي، ممثلاً في عصر الأنوار والنهضة وقولبه الجاهزة، فلم يعد للعقل عندهم سيطرة على العمل الفني، فالأمر أصبح للإحساس والعاطفة.

ولما كانت الرومانسية في صميمها تعبيراً عن انتفاضة للطبقة البرجوازية الناشئة، وتصميمها على التمرد على كافة الحقول المقدسة التي كانت للطبقة الأرستقراطية ورموزها، ولذلك شددت على حرية الفرد وذاتيته في كافة المجالات، فقد كان مطلب الحرية في الفن والأدب دافعاً للمطالبة بها في شتى الميادين، من هنا ساد الاعتقاد في أوساط الرومانسيين، من أن النشاط الروحي للفرد هو ما يحدد قانون استمرار وجوده الموضوعي وتطوره، والإيمان بما لدى الشخصية الإنسانية من إمكانيات لا محدودة، وبسيادة حقوقها في تجسيد هذه الإمكانيات. تلك هي المعالم العريضة والمنطلقات الأساسية للفكر الرومانسي بصفة عامة.

والفضل يعود إليه في نقل المصطلح من دائرة النصوص اللاهوتية، ليكون "علما" أو "فنا" لعملية الفهم، وشروطها في تحليل النصوص. بهذا يكون شلايرماخر قد نحى بالتأويلية منحى حررها من أن تكون في خدمة علم واحد، ووصل بها إلى أن تكون علما قائما بذاته.

صحيح أن الممارسة التأويلية تعود إلى الماضي البعيد، إلا أنها لم تعبرهاهاها الفلسفي ولم تكتسب صرامة، إلا منذ شلايرماخر، الذي جمع بين الجدارة في التأويل الفقهي اللغوي، والكفاءة الفلسفية المكتسبة من المدرسة الترنسندننالية، فنظر وأمعن النظر في الهرمينوطيقا، كمسألة تهتم بتأويل الخطاب، وجاوز قواعد التأويل إلى مستوى تحليل الفهم، أي إلى معرفة العمل القصدية نفسه، ليستنتج منه إمكانية تأويل ذي مشروعية كلية، بما في ذلك وسائل هذا التأويل وقواعده وحدوده<sup>(1)</sup>.

لاحظ شلايرماخر أن سوء فهم خطاب معين هو الذي يولد الحاجة إلى الفهم. وهكذا أسس على ظاهرة سوء الفهم نظريته الهرمينوطيقية، وانطلاقا من هذا ستنصبح الهرمينوطيقا وسيلة منقذة من سوء الفهم، الذي يتربص بنا في كل لحظة، ومنذ بداية عملية الفهم. فمهمة الهرمينوطيقا لا تنحصر فقط في التدخل عندما يصبح الفهم غير مؤكد، بل من اللحظة الأولى، لكل مسعى يرغب في فهم خطاب ما.

#### علاقة المؤلف والقارئ داخل الدائرة الهرمينوطيقية<sup>(2)</sup>.

إن الهدف الأسمى لهرمينوطيقا شلايرماخر هو أن نقوم بتوجيه عبارات المؤلف إلى المعنى الموجود فيها ونعمل على أن نفكر كما كان يريد الكاتب أن يعبر عنه. أي "إعادة معايشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص. فهي عكس التأليف، لأنها تبدأ من تعبير ثابت ومكتمل، وتعود القهقري إلى

---

(1) نبيهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998، ص43.  
(2) الدائرة الهرمينوطيقية: من المفاهيم التي بنى عليها شلايرماخر الهرمينوطيقا أو فعل الفهم بالانتقال من الخاص (المفرد) إلى العام و العكس.. فالجملة على سبيل المثال هي وحدة كلية، ونحن نفهم معنى الكلمة المفردة داخل الجملة بإحالتها إلى الجملة الكلية. والجملة بدورها يعتمد معناها الكلي على معنى كلماتها المفردة... الفهم إذن عملية دائرية والمعنى في الحقيقة لا ينهض إلا داخل هذه الدائرة، ونحن لذلك نطلق عليها "دائرة التأويل". نقلا عن: صابرينة بوزيد، إشكالية القصدية في الممارسة النقدية، رسالة ماجستير، قسم الآداب جامعة وهران، (2008،2009)، ص65 وما بعدها.

الحياة الذهنية التي نبع منها التعبير. إن المتحدث أو المؤلف يبني جملة، وعلى المستمع أو القارئ أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة وبناء الفكرة<sup>(1)</sup>. وهكذا يظهر أن هدف التفسير كما يراه **شلايرماخر**، هو إعادة بناء الخبرة الذهنية لمؤلف النص. التفسير يستهدف إعادة معايشة ما عايشه المؤلف. وهذه المعايشة ليست بالضرورة تحليلاً نفسياً للمؤلف، بل هي مجرد تذكير بأن الفهم هو فن إعادة بناء التفكير الخاص بشخص آخر. وبعبارة أخرى إن غايتنا ليست تحديد دوافع المؤلف السيكولوجية أو بواعث شعوره، بل إعادة تشييد الفكر نفسه الخاص بشخص آخر من خلال تفسير حديثه<sup>(2)</sup>، على أساس أن النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها، ويشير في جانبه النفسي إلى ذاتية مبدعه، والعلاقة بين الجانبين - فيما يرى **شلايرماخر** - علاقة جدلية، والنصوص في نظره كلما تقدمت في الزمن أصبحت عرضة لسوء الفهم، الأمر الذي تصبح معه الحاجة ملحة إلى إيجاد علم يجنبنا هذا الأمر، ويجعلنا أقرب إلى الفهم<sup>(3)</sup>.

من هنا ينطلق **شلايرماخر** لوضع قواعد الفهم انطلاقاً من تصوره لجانبَي النص، اللغوي والنفسي، فالمفسر -حسب هذه لقواعد- يحتاج إلى موهبتين للنفاذ إلى معنى النص. الموهبة اللغوية، والقدرة على النفاذ للطبيعة البشرية، فالموهبة اللغوية وحدها لا تكفي، لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف الإطار اللامحدود للغة، كما أن الموهبة في النفاذ إلى الطبيعة البشرية لا تكفي، لأنها مستحيلة الكمال، لذلك لا بد من الاعتماد على الجانبين، ولا يوجد ثمة قواعد لكيفية تحقيق ذلك<sup>(4)</sup>.

---

(1) عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص99

(2) مرتضى الفرّج، (الفلسفة الغربية وقراءة النص)، مجلة البصائر، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم، لبنان - بيروت، ص20، ع44، 2009، ص94-148

(3) نصر حامد أبوزيد، (الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص)، مجلة فصول، ع3، أفريل 1981، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص145

(4) نصر حامد أبوزيد، إشكالية القراءة واليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط، 7، 2005، ص20-21



إن عناصر العملية التأويلية في نظر شلايرماخر، لا تخرج عن هذا الإطار، فهم النصوص متوقف على قدرة القارئ في الإلمام بجانب النص: -**جانب موضوعي**: يشير إلى اللغة، وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، علماً أن اللغة عند شلايرماخر ليست منظومة مجردة (كما هو الشأن عند فرديناند دي سوسير، الذي يميز بين اللغة والكلام)، بل هي موقع المعنى وموقع الفكر ذاته: "إنني أفهم المؤلف بقدر توظيفه للغة، فهو - من جانب - يقدم في استعمال اللغة أشياء جديدة، ويحتفظ - من جانب آخر - ببعض خصائص اللغة التي يكررها وينقلها"<sup>(1)</sup>.

-**الجانب الذاتي**: يشير إلى فكر المؤلف، ويتجلى في استخدامه الخاص للغة، وهذان الجانبان يشيران إلى تجربة المؤلف، التي يسعى القارئ إلى إعادة بنائها، بغية فهم المؤلف أو فهم تجربته<sup>(2)</sup>.

إذن الصيغة التأويلية عند شلايرماخر، تتوقف على هذين الجانبين الذين يمثلان في الوقت نفسه القواعد الأساسية المحددة لفن التأويل، وبدونهما لا يمكن تجنب سوء الفهم. لأنه "لا يمكن الإمساك بتركيب عمل ما ووحدته بمقولات المنطق الشكلي والتحليل الأسلوبي وحدها، فالعمل يجب أن يفهم بالأحرى ك لحظة في حياة إنسان معين. وعلاوة على الإمساك بـ "الشكل الخارجي"، يتعين على المرء أيضاً أن يمسك بـ "الشكل الداخلي"، الذي لا يكون مادة تأويل موضوعي بل تأويل ذاتي، حدسي وعليه، فإن التأويل هو "إعادة إنتاج" أو "إعادة بناء" يحدث في العلاقة الحية بعملية الإنتاج الأدبي نفسها. ويصبح الفهم هو "أن يعيد المرء بطريقته الخاصة خلق سلسلة الأفكار"<sup>(3)</sup>.

إن الحضور الفعلي للكاتب داخل خطابه أو نصه كذات، لا يستغرق سوى مدة إنتاج الخطاب، وما بعد ذلك فهو اغتراب حتى لا نقول موت المؤلف. وما مدة إنتاج الخطاب سوى محطة ترتيب للمعرفة الاجتماعية،

(1) نصر حامد أبو زيد، الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص، ص145

(2) المرجع والصفحة نفسها

(3) بولتمان، (مسألة الهرمينوطيقا)، ترجمة، علي حاكم صالح، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، س18، ع(59-60)، 2014، ص108-134

المتتمثلة في شخص الكاتب، وما الخطاب سوى مجال مفتوح على الأبدية، يسمح لنا بمعايشة تطورات المد المعرفي، وبالتالي ليس الخطاب سوى فرصة نتعرف من خلالها على قدراتنا المعرفية. ينطلق **شلايرماخر** من المفاهيم الأكثر عمومية، وهي الفهم والخطاب واللغة والذات المتكلمة، وهو بذلك يتجنب خطأ النظريات التأويلية السابقة، في أنها تفتقر إلى مبادئ عامة، ومن هنا أصبحت نظرية **"شلايرماخر"** المتعلقة بالشكل الخارجي وبالشكل الباطني، نظرية أساسية. والعناصر القائمة فيها بشأن نظرية عامة للإبداع الأدبي تكون بمثابة **"أورغانون"** *organon* التاريخ الأدبي بوجه خاص. إن الغاية الأخيرة للهرمينوطيقا، تتمثل في فهم الكاتب على نحو يتجاوز فهمه لذاته، وهذه المسألة تمثل النتيجة الضرورية لنظرية الإبداع اللاشعوري<sup>(1)</sup>.

التأويل عند **شلايرماخر** تأويلان: "تأويل نحوي يهتم بالإتشاء التدريجي لمجموع النص. وتأويل سيكولوجي، يتمثل أولاً في الرجوع بالفكر إلى مركز المسار الإبداعي، فالانتقال من ذلك إلى الشكل الخارجي والداخلي للمؤلف، ثم البحث في آخر الأمر من خلال الطريقة الذهنية المميزة للمؤلف وتطوره عن وحدة مؤلفاته"<sup>(2)</sup>.

إن العرض المنفصل للتأويل النحوي والتأويل التقني، يشهد باستقلالهما المتعلق بالاختلاف في المهمة التي يقترحها كل من التأويلين: تتمثل مهمة التأويل النحوي في "إدراك معنى الخطاب انطلاقاً من اللغة" ومهمة التأويل التقني (السيكولوجي) في "فهم تفصيل خطاب متماسك باعتبار أنه يحتل موضعاً في المجموعة المحددة لأفكار الكاتب". والمؤول الماهر هو الذي يحقق المهمتين معاً، إذ إن كل واحدة توضح الأخرى، وذلك بالرغم من أن كل ميدان يتضمن صعوبات خاصة، ويوجه البحث على نحو مغاير، فمن ناحية يجب اكتشاف قوانين اللغة، والمشاكل التي تثيرها، كاللاتحدد، أي خاصية العناصر المادية، الالتباس أي خاصية العناصر الصورية (الكلمات والجمال)، ومن ناحية أخرى يجب إدراك فكر الكاتب

---

(1) نبيهة قارة، مرجع سابق، ص 47.  
(2) المرجع والصفحة نفسها.

الذي يبدو من خلال هيكل الخطاب، من حيث إنه يشهد بتركيبية الفكر ويعبر عن ذاتية الفرد<sup>(1)</sup>.

إن مهمة الهرمينوطيقا هي فهم النص، كما فهمه مؤلفه، بل أحسن مما فهمه مبدعه، لكن هذه الغاية في نظر شلايرماخر لازالت بعيدة المنال، "فنظرية التأويل - رغم كل التقدم الذي بلغته - ما تزال بعيدة عن أن تكون فنا متكاملًا، لذلك فكل ما يمكن أن يطمح إليه المفسر أن يصل إلى أقصى طاقته في تفسير النص<sup>(2)</sup>. وأن يكون ذا طاقة تنبؤية إلى جانب معرفته باللغة، حتى يمكنه اكتشاف الجوانب المتعددة للنص، وبهذه الطاقة التنبؤية، يسعى الإنسان لفهم الكاتب إلى درجة أن يحول نفسه تمامًا إليه، أي أن يكون هو الكاتب<sup>(3)</sup>.

### خاتمة:

لقد جرف المفهوم الجديد للهرمينوطيقا الكثير من التصورات الراسخة بعيدًا، ليؤسس استنباطات مغايرة، ناتجة عن نقد المعايير السابقة، وقد كان شلايرماخر من المبادرين إلى توسيع دائرة الهرمينوطيقا "ولهذا حمل برنامجه الهرمينوطيقي علامة مزدوجة: علامة رومانسية، من خلال سعيه إلى العلاقة الحسية مع عملية الإبداع، وعلامة نقدية من خلال رغبته بتوسيع قواعد الفهم الصالحة شموليًا، وهو ما يترجم عن وعي، التحول من سطحية التفسير وحرفيته، إلى شمولية التأويل ولا يقينته، كون التفسير مسألة يقينية، والتأويل مسألة ظنية<sup>(4)</sup>، فالإنجاز العظيم لشلايرماخر، يكمن في نظر غادامير في جعله للتأويل النفسي إلى جانب التأويل القواعدي، ففهم أي نص يحتاج إلى أورانون لغوي وإلى القدرة على النفاذ إلى الطبيعة البشرية، وهي القدرة التي تسمح للمؤول بأن يضع نفسه في الإطار الكلي للمؤلف، ويحل محله بمعايشته لكل عملياته الذهنية، من أجل إدراك الأصل الباطني لعملية إنتاج عمل ما؛ أي

(1) المرجع نفسه، ص48.

(2) نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة واليات التأويل، ص23.

(3) نصر حامد أبو زيد، (الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص)، ص146 .

(4) خيرة حمر العين، المقال السابق، -، ص، ص14، 15.

إعادة تكوين للفعل الإبداعي<sup>(1)</sup>. وعليه يصبح الفهم إعادة إنتاج لعملية إنتاج أصلية، أي المقاصد الأصلية للمؤلف، بناء على حياته الفكرية، وما أراد قوله والتعبير عنه في النص، فالتأويل النفسي يهدف إلى معرفة فردية المؤلف وعبريته، ما يتطلب اندماجاً وجدانياً معه.

### مراجع البحث:

القرآن الكريم

- 1- محمد ن احمد جهلان، فاعلية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008
- 2- ابن منظور، لسان العرب.
- 3- دندوقة فوزية، (التأويل وتعدد المعنى)، مجلة كلية الآداب العلوم الاجتماعية، ع4، جانفي 2009، جامعة بسكرة.
- 4- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ب ط)، 1982
- 5- عبد الغني بارة (الهرمينوطيقا والترجمة) مجلة الآداب العالمية، ع133، 2008، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- 6- دافيد جاسر، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، ط1، 2007.
- 7- خيرة حمر العين (الشعرية وافتتاح النصوص، تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل)، مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، ع6، 2010، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو.
- 8- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ب ت)، (ب ط).
- 9- أس.دمتريف، النظرية الرومانسية الغربية، مجلة الآداب العالمية، ع125، 2006، اتحاد الكتاب العرب.

---

(1) هشام معافة، هرمينوطيقا الفن عند غادامير، مذكرة ماجستير في الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة باتنة، 2008-2009، ص26. نشرت تحت عنوان: هشام معافة، التأويلية والنص عند هانس جيورج غادامير، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010

- 10- رشيد الحاج صالح، مكانة التراث وتأويله عند غدامير، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+2، المجلد 30.
- 11- نبيهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998
- 12- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غدامير، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة، ط1، 2007.
- 13- نصر حامد أبوزيد، إشكالية القراءة واليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط7، 2005.
- 14- مرتضى الفرّج، (الفلسفة الغربية وقراءة النص)، مجلة البصائر، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم، لبنان - بيروت، س20، ع44، 2009.
- 15- نصر حامد أبوزيد، (الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص)، مجلة فصول، ع3، افريل 1981، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 16- بولتمان، (مسألة الهرمينوطيقا)، ترجمة، علي حاكم صالح، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد. س18، ع(59-60)، 2014.
- 17- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة، محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2001.